منهج إسقاط نقد الكتاب المقدس على الدراسات القرآنية «يوليوس فلهاوزن نموذجاً»

د. محمد الأمين بله الأمين الحاج*

* أستاذ السنة وعلوم الحديث – معهد إسلام المعرفة - جامعة الجزيرة - السودان.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى إبراز رؤية المستشرق الألماني يوليوس فلهاوزن في استخدام منهج نقد الكتاب المقدس، مع استعراض منهجه في إسقاط ذلك على الدراسات القرآنية، وأهم المواضيع التي استغرقت اهتماماته، والعوائق المعرفية التي تحول دون استكمال الشروط الموضوعية للبحوث العلميّة التي يصدرها، متأثراً بالمناخ العلمي والفكري الغربي كعادة من سبقه من المستشرقين، ومنطلقاً من منهجية البحث العلمي السائدة في الغرب، مع استخلاص الدوافع الحقيقية من وراء هذه الدراسات للقرآن الكريم، التي ترتبط بأهداف تخص الباحث المستشرق الغربي، و التي يغلب عليها الطابع الدفاعي الجدلي ضد الإسلام والقرآن الكريم، مع مناقشتها ونقدها.

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، ثم الاستقرائي، وتوصل للعديد من النتائج من أهمها: يتجلى الخطأ المنهجي لفلهاوزن في تعميم منهجيته ونظريته على القرآن الكريم، لبنائه ذلك على فهم تأريخي لتشابه خاطئ لليهودية والنصرانية مع الإسلام، فتأريخ موسى منفصل عن اليهودية الحالية، وتأريخ عيسى منفصل عن النصرانية الحالية، لكن تأريخ محمد صلى الله عليه وسلم متصل بالإسلام ومرجعيته المعرفية والتشريعية غير مفصول.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

Abstract

This research aims to highlight the vision of the German orientalist Julius Flahausen in the use of the method of criticism of the Bible, with a review of his approach in dropping this on the Koranic studies, the most important subjects that took his interest, and the cognitive obstacles that prevent the completion of the substantive conditions of scientific research issued by the scientific and intellectual climate The Western, as usual from the orientalists, and starting from the methodology of scientific research prevailing in the West, with the extraction of the real motives behind these studies of the Koran, which are linked to the objectives of the Western orientalist researcher, which is predominantly defensive argument Against Islam and the Holy Quran, with its discussion and criticism.

The researcher used the analytical descriptive method, and then inductive, and reached several results, the most important of which is: The systematic error of Flahausen is reflected in the generalization of his methodology and his theory on the Holy Quran, building it on a historical understanding of the erroneous similarity of Judaism and Christianity with Islam. About the current Christianity, but the history of Muhammad is connected to Islam and its reference to knowledge and legislation is not separated.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه. وبعد.

فإن المنهج الاستشراقي في دراسته للقرآن الكريم وعلومه يكاد يكون غير علمي، وبعيداً عن الحياد والموضوعية والنزاهة المطلوبة في منهجية البحث العلمي، وحتى نكون موضوعيين هناك فارق في الدرجة وليس في النوع بين الاستشراق القديم و الاستشراق المعاصر، ويعتبر كتاب ثيودور نودلكة حداً فاصلاً بين عهد يدرس فيه القرآن الكريم على أساس أنه هرطقة، ومجموعة من التخيلات والتصورات التي جاء بها نبي مزيف، وبين عهد أخذ ينظر فيه للقرآن الكريم ولو بقدر ضئيل من الاحترام على أنه كتاب المسلمين المقدس، الذي يجب أن يدرس أسلوبه، وتبحث مضامينه، وينقب عن حلقاته.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تكمن أهمية البحث في الآتي:

1. تناول المنهج الاستشراقي في تعامله مع الدراسات القرآنية المتمثلة في أحد أقطاب ورموز المدرسة الغربية الألمانية.
2. بيان محاولات المستشرقين في الطعن والتشكيك في القرآن الكريم مصدرية المسلمين المعرفية والتشريعية.
3. استعراض منهجية البحث العلمي السائدة في الغرب، مع استخلاص الدوافع الحقيقية من وراء هذه الدراسات للقرآن الكريم، التي ترتبط بأهداف تخص الباحث المستشرق الغربي، و التي يغلب عليها الطابع الدفاعي الجدلي ضد الإسلام والقرآن الكريم، مع مناقشتها ونقدها.
4. توضيح انعكاسات رؤية المستشرق الألماني فلهاوزن في منهج اسقاط نقد الكتاب المقدس على الدراسات القرآنية، وأثر ذلك على الفكر الإسلامي المعاصر.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الآتي:

1. إبراز رؤية المستشرق الألماني يوليوس فلهاوزن في استخدام منهج نقد الكتاب المقدس، مع استعراض منهجه في إسقاط ذلك على الدراسات القرآنية، وأهم المواضيع التي استغرقت اهتماماته.
2. التعريف بالمدرسة الاستشراقية الألمانية المتمثلة في أحد مؤسسيها المستشرق يوليوس فلهاوزن، باعتباره مؤسساً لمنهج اسقاط نقد الكتاب المقدس على الدراسات القرآنية.
3. الكشف عن العوائق المعرفية التي تحول دون استكمال الشروط الموضوعية للبحوث العلميّة التي يصدرها يصدرها المستشرق فلهاوزن، متأثراً بالمناخ العلمي والفكري الغربي كعادة من سبقه من المستشرقين، ومنطلقاً من منهجية البحث العلمي السائدة في الغرب.
4. التأكيد على أن المنهج الاستشراقي في دراسته للقرآن الكريم وعلومه يكاد يكون غير علمي، وبعيداً عن الحياد والموضوعية والنزاهة المطلوبة في منهجية البحث العلمي، وحتى نكون موضوعيين هناك فارق في الدرجة وليس في النوع بين الاستشراق القديم و الاستشراق المعاصر.

مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة البحث حول محاولة الكشف عن حقيقة المنهج الاستشراقي المتأثر بالاتجاهات العلمية التي تطورت لدراسة الدين وما يسمى ب "الظاهرة الدينية" داخل إطار العلوم الإنسانية والاجتماعية، وقد استعاروا المنهج في دراسة العلوم الإنسانية والاجتماعية لدراسة الإسلام والقرآن الكريم، مقلدين في ذلك التطبيق المنهجي لدراسة اليهودية والنصرانية، وفي دراسة النصوص الدينية المقدسة في اليهودية والنصرانية، أو ما يسمى بنقد الكتاب المقدس على القرآن الكريم، وهو ما يمكن تسميته بنقد القرآن الكريم.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وتتفرع عن هذه المشكلة الأسئلة التالية:

1. ما هو مفهوم الاستشراق وما أهدافه ؟.
2. ما هو مفهوم مناهج الاستشرق؟ ومفهوم الدراسات القرآنية؟
3. ما انعكاسات رؤية فلهاوزن في منهج إسقاط نقد الكتاب المقدس على الدراسات القرآنية؟
4. ما هي الدوافع الحقيقية لمنهجية فلهاوزن والمدرسة الاستشراقية في تطبيق نقد منهج الكتاب المقدس على الدراسات القرآنية؟

منهج الدراسة:

اتبع الباحث المنهج المنهج الوصفي التحليلي، ثم الاستقرائي متخذاً من مدرسة المستشرق الألماني يوليوس فلهاوزن نموذجاً، وذلك لعدة أسباب هي: أن هذا المنهج الأصل الذي يعتمده جميع المستشرقين في دراساتهم القرآنية، وباعتبار أن المستشرق فلهاوزن من أوائل من تخصص في هذا العلم الجديد الذي سمي بعلم " نقد القرآن الكريم "، كما يعتبر هو المؤسس الأول له، وهو نفسه الذي أسس نظرية " تعدد مصادر التوراة"، وأن فلهاوزن من اعتقد بفكرة النشوء والتطور التي بدأها دارون على المستوى البيولوجي للإنسان، فاعتنقها فكرة أساسة في الفكر الديني والتأريخي، فأخضع الدين والتأريخ لعوامل النشوء والتطور نتيجة تغير الحياة وتطورها، فعمل فلهاوزن جاهداً على تطور النظرية إلى أن فصل بين المؤسس وبين ما قام بتأسيسه، ففصل بين النبي والديانة التي جاء بها، ونتج عن هذا التأثر ظهور ما سمي ب" الظاهرة الدينية.

هيكل البحث:

وجاء البحث في مقدمة وثلاثة مباحث رئيسة على النحو التالي:

تمهيد.

المبحث الأول: **إطار مفاهيمي** ويشمل:

1/ مفهوم الاستشراق.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

2/ أهداف الاستشراق.

3/ مفهوم مناهج الاستشراق.

4/ مفهوم الدراسات القرآنية.

المبحث الثاني: **خلفية تأريخية عن الدراسات القرآنية الاستشراقية:**

المبحث الثالث: **منهج إسقاط نقد الكتاب المقدس على الدراسات القرآنية: " يوليوس فلهاوزن نموذجاً"**: ويشمل:

1/ ترجمة عن يوليوس فلهاوزن.

2/ منهج فلهاوزن في نقد الكتاب المقدس.

3/ انعكاسات رؤية فلهاوزن في منهج إسقاط نقد الكتاب المقدس على الدراسات القرآنية:

4/ مناقشة ونقد رؤية فلهاوزن في منهج إسقاط نقد الكتاب المقدس على الدراسات القرآنية:

الخاتمة: أهم **النتائج والتوصيات**.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

تمهيد

استخدم المستشرقون مناهج شتى في دراساتهم للقرآن الكريم تختلف اختلافاً كثيراً عن المنهج الإسلامي، وتدور معظمها حول شبهات القرآن الكريم، فنجد الجيل الأول الذين يعتقدون أن القرآن الكريم من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم وأنه اقتبس أفكاره وقصصه من اليهودية والنصرانية[1]. فهناك فريق يدعي أن القرآن الكريم قد تطور عبر القرنين الأول والثاني؛ وأن المصادر التأريخية الإسلامية ليست معاصرة ولا يمكن تصديقها، ذلك لأن المنهج الاستشراقي في دراسته للقرآن الكريم وعلومه يكاد يكون غير علمي، وبعيداً عن الحياد والموضوعية والنزاهة المطلوبة في منهجية البحث العلمي، وحتى نكون موضوعيين هناك فارق في الدرجة وليس في النوع بين الاستشراق القديم و الاستشراق المعاصر، ويعتبر كتاب ثيودور نودلكة حداً فاصلاً بين عهد يدرس فيه القرآن الكريم على أساس أنه هرطقة، ومجموعة من التخيلات والتصورات التي جاء بها نبي مزيف، وبين عهد أخذ ينظر فيه للقرآن الكريم ولو بقدر ضئيل من الاحترام على أنه كتاب المسلمين المقدس، الذي يجب أن يدرس أسلوبه، وتبحث مضامينه، وينقب عن حلقاته. ومع ذلك كله نجد أن المستشرقين دائماً ما يتأثروا في دراساتهم القرآنية بالمناخ العلمي والفكري، وبالمنهجية العلمية السائدة في الغرب للبحث العلمي، وقد عكف فريقان على الدرس القرآني: الفريق الأول: رجال دين وعلماء تقليديون منتمون إلى الكنيسة الغربية بمختلف مذاهبها، ورجال دين يهود يمثلون كل الحركات والمذاهب الدينية المنتشرة في الغرب، وهذا الفريق ملتزماً دينياً، وتأتي دراستهم للقرآن والإسلام مرتبطة بأهداف ومصالح ديانتهم يهودية كانت أو نصرانية، ويغلب عليها الطابع الدفاعي الجدلي ضد الإسلام والقرآن الكريم[2]، فمثال لذلك مثلاً ثيودور نودلكة الذي لا يتردد في حكمه على النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأنه من ألف القرآن الكريم، بقوله: (صائغ غير موهوب لصور قرآنية مشوشة الأسلوب)[3]. ومع ذلك يمكننا أن

(1) أنظر: Muir، pp.25-w fe ofMohametMuir 31 26-reprinted rd edition1923.
(2) محمد خليفة حسن، مدرسة الاستشراق اليهودي، مجلة رسالة المشرق، جامعة القاهرة، القاهرة، 2003م، ص 23.
(3) منتغمري وات، محمد في مكة، تعريب سفيان بركات، المكتبة العصرية، بيروت، ص 5.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

نقول بأن المستشرقين المعاصرين هم أقدر على تحاشي أساليب الطعن والتجريح في حق القرآن الكريم ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم نسبة لعلاقاتهم بالدول العربية والإسلامية، وببعض الشخصيات العلمية، مما جعل فيهم قدراً من الاحترام والتعاطف؛ يمكن معه القول بأن قصور المناهج الاستشراقية المادية في اكتشاف جمال القرآنيات؛ ذلك لأنه أمر لا يظهر جلياً لغير القلة المتخصصة في علوم القرآنيات الذين يستطيعون أن يكتشفوا مواطن الخطأ والضعف في إنتاج المستشرقين العلمي في هذا الميدان، فهذا منتغمري وات يقول في مقدمة كتابه (محمد في مكة)، موضحاً منهجه وطريقته في التعامل مع الدراسات القرآنية: "فيما يتعلق بالمسائل الكلامية التي أثيرت بين الإسلام والمسيحية، فقد جهدت في اتخاذ موقف محايد منها، هكذا وبصدد معرفة ما إذا كان القرآن كلام الله أو ليس كلامه، امتنعت عن استعمال تعبير مثل: (قال تعالى)، أو (قال محمد)، في كل مرة استشهد فيها بالقرآن، بل أقول بكل بساطة: (يقول القرآن)، وأقول لقرائي المسلمين شيئاً مماثلاً، فقد ألزمت نفسي برغم إخلاصي لمعطيات العلم التأريخي المكرس في الغرب؛ ألا أقول أي شيء يتعارض مع معتقدات الإسلام الأساسة"[1]، يتبين لنا من ذلك أن وات تجاوز منهجية المستشرقين القدامى الذين كانوا ينسبون القرآن الكريم ومعطياته إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لكنه في الوقت نفسه لا يستطيع أن يقول قال الله تعالى لأنه لا يؤمن بأن القرآن كلام الله. أما الفريق الثاني: فهم مجموعة من العلماء العلمانيين المنتمين إلى حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية في الجامعات، والمؤسسات، ومراكز البحوث الغربية، والذين طبقوا على الإسلام والقرآن الكريم المناهج العلمية المرتبطة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، متأثرين في دراسة الدين عموماً بمناهج البحث الاجتماعية، والأنثروبولوجية، والنفسية، والفلسفية، بالإضافة إلى ما تم تطويره من علوم دين مستقلة مثل علم مقارنة الأديان، وعلم تأريخ الأديان، وعلم الظاهرة الدينية، لتكون مجموعة جديدة من علوم الدين إلى جانب علم الاجتماع الديني،

(1) حسن عزوزة، مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم، نسخة إلكترونية، ص6.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وعلم أنثروبولوجيا الدين، وتأريخ الدين، وجغرافيا الدين، وعلم النفس الديني، وفلسفة الدين، علاوة على الاهتمام بدراسة الأدب الديني، والفنون الدينية والأخلاق الدينية، أو بمعنى آخر دراسة الدين في علاقته بالفن والدين والأخلاق[1]. وقد تأثر المستشرقون بكل هذه الاتجاهات العلمية التي تطورت لدراسة الدين وما يسمى ب "الظاهرة الدينية" داخل إطار العلوم الإنسانية والاجتماعية، وقد استعاروا المنهج في دراسة العلوم الإنسانية والاجتماعية لدراسة الإسلام والقرآن الكريم، مقلدين في ذلك التطبيق المنهجي لدراسة اليهودية والنصرانية، وفي دراسة النصوص الدينية المقدسة في اليهودية والنصرانية، أو ما يسمى بنقد الكتاب المقدس على القرآن الكريم، وهو ما يمكن تسميته بنقد القرآن الكريم[2]. كانت المدرسة الألمانية من أهم وأعرق مراكز الاستشراق، وكونت أكبر رموزها في القرن العشرين، وتمخضت المدارس الأوروبية عموماً عن فريقين لخّصا موقف الغرب: فريق من الحاقدين المعلنين، يتحاملون على الإسلام وحضارته، وينحو إلى القول بأن القرآن الكريم مقتبس ومنقول عن الكتاب المقدس. وعلى رأسه هرشفلد وهوروفيتز وسباير[3]. وفريق آخر أكثر اعتدالاً وإنصافاً يدعي الموضوعية، ولكن تتضارب استنتاجاته؛ ومثّل هذا التيار جولدتسيهر، ونولدكه، وشواليه، ومرجوليوث. أما اليوم فتعتبر ليدين ولندن والكيان الإسرائيلي والولايات الأمريكية أنشط مراكز البحث العلمي في مجال الإسلاميات، ويجدر بنا أن نشير إلى تطرف المدرسة الإنجليزية وأهمّ رموزها باتريسيا كراون؛ التي تعتبر أن الإسلام في الأصل كان مجرد «بضع من

(1) محمد خليفة حسن، تأريخ الأديان، دراسة وصفية مقارنة، دار الثقافة، القاهرة، 2002م، ص20-22، وانظر: تحرير زالمان شازار، ترجمة أحمد هويدي، مقدمة تأريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، تقديم ومراجعة محمد خليفة حسن، المجلس الأعلى للثقافة، العدد204، القاهرة، 2002م، ص3-13.

(2) أنظر الأعمال التالية:

- G.W. Anderson، A Critical Introduction to the Old Testament، Prentice-Hall Inc.، N.Y.، 1959.
- W.F. Albright، From the Stone Age to Christianty، Monotheism and the Historical Process، Doubleday and Co.، N.Y.، 1957.
- O. Eissfeldt، The Old Testament، an Introduction، trans. By Ackroyd، Harper and Row، N.Y.، 1972.
- H.H. Rowley، The Growth of the Old Testament، Harper and Row، N.Y.، 1963.

(3) انظر: A. BADAWI، Defence du Coran contre ses critiques، Op. Cit.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

فرق (Sous secte)» أو فرقة يهودية، وهرطقة وجدت لها مناخاً ملائماً في الجزيرة العربية لتحقق ذلك النجاح الباهر تحت اسم الإسلام[1]، وضمّت هذه المدرسة م.كوك، وج.ر.هاوتن، وم.هايندز. ونراها تركّز، إلى جانب المدرسة الصهيونية، على دراسة مظاهر «الدولة العربية» التي أسّسها بنو أمية في الشام في القرن الأول الهجري السابع للميلاد، وتعظّم الشخصيات الأموية وإنجازاتها الحضارية والسياسية؛ على أساس أنها أسمى مراحل التطور والثورة القومية لقبائل الجزيرة العربية[2]، وتمثل بين كل هذه المدارس الاستشراقية مدرسة يوليوس فلهاوزن الأصل الذي يعتمده جميع المستشرقين في دراساتهم القرآنية، باعتبار أن المستشرق فلهاوزن من أوائل من تخصص في هذا العلم الجديد الذي سمي بعلم " نقد القرآن الكريم"، كما أنه أسس الجهاز النقدي الذي بنى عليه منهجه في النقد الديني، ومن ثم أقام عليه نظرية تعدد المصادر في نقده للكتاب المقدس، التي استعارها من القرآن الكريم، في نقده لنص التوراة والإنجيل، ونقده المصدري والعالي، كما سنوضح ذلك في موضعه في هذه الورقة العلمية إن شاء الله.

(1) انظر: Patricia CRONE، Meccan trade and of the Islam، Princeton. 1987. p 95-7.

(2) انظر: The Encyclopedia of the Islam مقالات لهم عن : الأمويين، معاوية بن أبي سفيان، زياد ابن أبيه، يزيد، الوليد.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الأول

الإطار المفاهيمي

1/ مفهوم الاستشراق:

لغة: استشرق من الفعل "شرق" يقال: شرقت الشمس أي طلعت، واسم الموضع المشرق، والشرق: المشرق، والجمع إشراق، والتشريق الأخذ في ناحية المشرق، يقال: شتان بين مشرق ومغرب، وكل ما طلع من المشرق فهو شرق[1]. واستشرق: أي طلب دراسة ما يتعلق بالشرق، فالألف والسين والتاء في أى فعل تدل على الطلب كاستغفر أي طلب المغفرة[2]. أما الاستشراق **اصطلاحاً**: هو علم الشرق أو علم العالم الشرقى وهو تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقيين شعوبهم، وتأريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، وأوضاعهم الاجتماعية، وبلادهم، وأرضهم، وحضارتهم، وكل ما يتعلق بهم، وهذا معنى عام للاستشراق. ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما[3]. أما المستشرقون فقد اختلف رؤية الباحثين في مفهومهم وتعريفهم إلى أقوال شتى؛ أذكر منها ما يلي[4]:

أ/ يقول عنه المفكر الإسلامي الكبير مالك بن نبي: "إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية"[5].

ب/ قال الأستاذ محمد آرد علي: " المستشرقون هم من يعنون بالبحث في لغات الشرق وعلومه"[6].

ج/ قال الدكتور إدوارد سعيد: "المستشرق هو كل من يدرس أو يكتب عن الشرق أو يبحث فيه"[7].

(1) القاموس المحيط 241/3، ومختار الصحاح ص 336 .
(2) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، دار الفكر للطباعة والنشر، 204/3.
(3) الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان والأحزاب المعاصرة، د.مانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، ط5، 1424، 687/2 .
(4) شاكر عالم شوق، مناهج المستشرقين في ترجمة القرآن، دراسات الجامعة الإسلامية شيتانغونغ، المجلد الرابع، ديسمبر2004م، ص58.
(5) ابن نبي: مالك، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، القاهرة: مكتبة عمار، 1970م، ص 1.
(6) علي: محمد آرد، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق: عدد3، ص 1.
(7) سعيد: إدوارد، الاستشراق، نيويورك: نوفمبر 1978م - ص 8.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

د/ وقال الدكتور محمد فتح الله الزيادي: "المستشرق هو من تعرض لحضارة العرب والإسلام بالدراسة، وخاصة من اتصف بالدس والكيد على الإسلام"[1].

2. أهداف الإستشراق:

كان المستشرقون يهدفون من وراء هذه الكتب و الأبحاث و الدراسات إلى غايات عديدة منها مايلي[2]:

أولاً: أهداف دينية غايتها هي معرفة الإسلام لمحاربته وتشويهه وإبعاد النصارى والغربيين عنه"[3]. و ذلك لتحقيق غايتين أساستين هما: حماية الإنسان الغربي من أن يرى نور الإسلام فيؤمن به، وبالمقابل تحويل المسلمين عن دينهم وتقطيع أوصال جماعتهم الإنسانية الكبرى وبثها لوحدات متقاطعة متنافرة، ويقول في ذلك رجاء جارودي: "لم يكن الاستشراق حركة نزيهة من البداية إذ كان الهدف منه تنفيذ مشروع يرمي إلى إدخال المسلمين في النصرانية"[4]. كما كان يهدف إلى معرفة الشرق ودراسة أرضه، وطقسه، وعلمائه، وشعبه، وكل أموره كل ذلك ليعرف كيف يصل إليه فقد ظلت دار الإسلام مرهوبة مخوفة ولم تستطع الصليبية بجحافلها الغاشمة اختراق ديار الإسلام مطلع القرن السادس الهجري، ولكنها مافتئت تدبر وتقدر وتحاول الالتفاف حول ديار الإسلام لما استعصى عليها اختراقها وكان الاستشراق هو رائدها الذي يرتاد لها الطريق، فغايتهم هنا تتمثل في مطامعهم السياسية والاقتصادية والعلمية من ديار الإسلام[5].

ثانياً: هناك أهداف علمية منها المشبوه، ومنها الخالص: تهدف إلى دراسة منجزات الحضارة الإسلامية في جميع المجالات العلمية، وقد أشار رودي بارت Rudi Paret – في كتابه عن الدراسات العربية الإسلامية– إلى إمكانية أن تقوم

(1) سعيد: إدوارد، الاستشراق، مصدر سابق، ص 8.
(2) محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص 57.
(3) آصف حسين." المسار الفكري للاستشراق " ترجمة مازن مطبقاني، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . العدد السابع ربيع الثاني 1413، ص 566-592.
(4) ينظر: أجنحة المكر الثلاثة الاستعمار، الاستشراق، ص94، عبدالعظيم الديب، المنهج عند المستشرقين، ص339.
(5) ينظر: عبدالعظيم الديب، المنهج عند المستشرقين، مرجع سابق، ص 339، الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان والأحزاب المعاصرة، 2/ 691.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الأمة الإسلامية في العصر الحاضر بدراسة الغرب فيما يمكن أن يطلق عليه علم الاستغراب"[1]، فإن المسلمين في نهضتهم الحاضرة بحاجة إلى معرفة الإنجازات العلمية التي توصل إليها الغرب عبر قرون من البحث والدراسة والاكتشافات العلمية والاستقرار السياسي والاقتصادي .

ثالثاً: أهداف سياسية استعمارية: تتمثل في خدمة الاستشراق للأهداف السياسية الاستعمارية للدول الغربية، فقد سار المستشرقون في ركاب الاستعمار وهم كما أطلق عليهم الأستاذ محمود شاكر –رحمه الله–: "حملة هموم الشمال المسيحي– فقدموا معلومات موسعة ومفصلة عن الدول التي رغبت الدول الغربية في استعمارها والاستيلاء على ثرواتها وخيراتها"[2].

3. مفهوم منهج المستشرقين لغة واصطلاحاً:

المنهج والمنهاج في اللغة: من النهج وهو الطريق البيِّن الواضح، أنهج الطريق وضَح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيناً، ونهجت الطريق: سلكته[3]، وباستعراض هذه الكلمة نجدها تدور حول ثلاثة معان هي: الطريق المستمر، والطريق المستقيم، والطريق البين الواضح[4].

واصطلاحاً: قيل: "المنهج هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة"[5]. أو قيل: طرق البحث وإجراءاته في مجال معرفي معين، والمنهجية هي العلم الذي يدرس هذه الطرق والإجراءات[6]. ونعني بمناهج المستشرقين هنا: الطرق والمباديء والآليات والوسائل والشبهات التي استخدموها في الطعن والتشكيك في الإسلام وفي القرآن الكريم خاصة، بغرض إقصائه عن مصدريته المعرفية وحجيته التشريعية، بعيداً عن التحقيق والموضوعية والتحرر؛

(1) رودي بارت، مرجع سابق، ص15.
(2) محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، جدة، دار المدني، 1407هـ، 1987م، ص108.
(3) إبن منظور، لسان العرب، 383 والفيروز آبادي. القاموس المحيط ص 208 / 1. بيروت، / الألوسي، محمود أبو الفضل: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي.6/153.
(4) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (383/2)، تفسير الطبري، 6/211، القاموس المحيط، 218/1.
(5) المعجم الفلسفي، معجم اللغة العربية، 1983م، ص195.
(6) مجموعة من العلماء، المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار السلام، ط1، 1431هـ، 2010م، ص38.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

على أسس ومباديء مستمدة من العقل والمنطق، أدت إلى إفراز بنية عدائية المنهج في تعاملها مع الإسلام جردت المستشرقين من الموضوعية والأمانة العلمية[1]. ومن خلال البحث والدراسة والاطلاع على كثير من الكتابات الاستشراقية؛ في دراسات القرآن الكريم، نجد أنهم قد استخدموا مناهج عديدة يصعب على الباحث حصرها؛ والإلمام بها جميعاً في ورقة علمية كهذه؛ لا يسع المجال فيها لمثل هذا البحث العلمي الصعب والمعقد وبهذا الحجم الكبير، ومن هنا رأى الباحث أن يعدد أهم المناهج التي تعامل بها المستشرقون في دراساتهم القرآنية، حسب ترتيب الباحثين المهتمين بالدراسات الاستشراقية لها، مع التركيز في هذا البحث على منهج إسقاط نقد الكتاب المقدس؛ وهي كما يلي[2]:

1/ منهج التشكيك فيما هو قطعي.

2/ منهج الانتقاء في استعمال المصادر.

3/ منهج الأثر والتأثر.

4/ منهج الإفتراض.

5/ منهج إسقاط نقد الكتاب المقدس.

6/ منهج التركيز على المرحلة التأسيسية للحقل القرآني.

7/ منهج النفي.

3. مفهوم الدراسات القرآنية:

يقصد بالدراسات القرآنية مصطلحات القرآن الكريم، والقراءات القرآنية، والتفاسير، والموضوعات اللغوية والأسلوبية، وغريب القرآن الكريم، ومعاجم القرآن الكريم، وغيرها من الموضوعات المتعلقة بالقرآن الكريم وعلومه[3].

(1) انظر عبد الله النعيم: الاستشراق في السيرة النبوية، نشرة المعهد العالي للفكر الإسلامي 1997م، ص17.

(2) أنظر: منصة البيانات المفتوحة من المكتبة الوطنية الفرنسية http://data.bnf.fr/ark:/12148/cb135366245 — تاريخ الاطلاع: 10 أكتوبر 2015.

(3) محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مصدر سابق، ص108.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الثاني

خلفية تأريخية عن الدراسات القرآنية الاستشراقية

من خلال قراءتي وجدت صعوبة في تحديد بداية للدراسات الإستشراقية للقرآن الكريم، إذ أن بعض المؤرخين يعودون بها إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس، و يعود بها آخرون إلى أيام الصليبيين، بينما يرجعها كثيرون إلى أيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري، غير أنها نشطت في الشام بواسطة الراهب يوحنا الدمشقي في كتابين الأول: حياة محمد صلى الله عليه وسلم. والثاني: حوار بين مسيحي ومسلم، وكان هدفه إرشاد النصارى في جدل المسلمين[1]. ومهما يكن من أمر فإن حركة الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم والإسلام قد انطلقت بباعث ديني يستهدف خدمة الاستعمار وتسهيل عمله ونشر المسيحية، لكني أرجح هنا أن الحروب الصليبية كانت هي نقطة التحول في الصراع الفكري والعقدي والسياسي بين الغرب المسيحي والشرق المسلم، والدافع الأساس للنشاط الاستشراقي المكثف، وقد اختلط الأمر في وقت من الأوقات بين المستعمر والمستشرق فقد كان كثير من الموظفين الاستعماريين على دراية بالشرق لغة وتأريخاً وسياسة واقتصاداً، كما نجد أن من أبرز أهداف الاستشراق نشر الثقافة الغربية انطلاقاً من النظرة الاستعلائية التي ينظر بها الغرب إلى الشعوب الأخرى، وظهر الهدف الثقافي من خلال اتخاذهم وسائل متعددة، وأساليب متنوعة لتحقيق أغراضهم، مما يصعب سردها جميعاً في ورقة علمية، ولكني سأقتصر على أهمها وأكثرها خطورة، فمن ذلك: أنهم أسسوا المدارس والمعاهد، والجامعات، ومراكز البحث والدراسات، وأقاموا كراسي للبحث ولدراسة اللغة العربية والدراسات الإسلامية، والتحق معظمهم بالجامعات لتدريس مزاعمهم الباطلة عن الإسلام، كما كانوا يستثمرون الفرص ليحاضروا في الجامعات العربية، كما رصدوا منحاً دراسية وبحثية لطلاب مسلمين في الجامعات الغربية، وقاموا أيضاً بنهب المخطوطات الإسلامية وتحقيقها وترجمتها ونشرها، وأسسوا

(1) المصدر السابق نفسه.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الجمعيات، وأصدروا المجلات الاستشراقية، والموسوعات الإسلامية بكافة اللغات وأحيوا المذاهب المنحرفة، وألفوا الكتب والأبحاث المحرفة للإسلام، وعقدوا العديد من المؤتمرات[1]، وهذا الأمر باعترافهم هم أنفسهم فهذا المستشرق الأمريكي "روبرت بين" في مقدمة كتابه "السيف المقدس" يكشف عن أهداف الدراسات القرآنية الاستشراقية بجلاء فيقول: "إن لدينا أسباباً قوية لدراسة العرب، والتعرف على طريقتهم، فقد غزوا الدنيا كلها من قبل، وقد يفعلونها مرة ثانية، إن النار التي أشعلها محمد صلى الله عليه وسلم لا تزال تشتعل بقوة، وهناك ألف سبب للاعتقاد بأنها شعلة غير قابلة للانطفاء"[2]، ويقول الأمير "كايتاني" الإيطالي الذي جهز على نفقته الخاصة ثلاث قوافل، لترتاد مناطق الفتح الإسلامي، وترسمها جغرافياً، وجمع كل الدوريات والأخبار الواردة عن حركة الفتح في اللغات القديمة، واستخلص تأريخ الفتح في تسعة مجلدات ضخمة بعنوان "حوليات الإسلام" بلغ بها سنة أربعين هجرية، واستهلك كل ثروته الطائلة في هذه الأبحاث، حتى أفلس تماماً، قال في مقدمة الكتاب: "إنه إنما يريد بهذا العمل أن يفهم سرَّ المصيبة الإسلامية التي انتزعت من الدين المسيحي ملايين من الأتباع في شتى أنحاء الأرض، ما يزالون حتى اليوم يؤمنون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ويدينون به نبيّاً ورسولاً"[3]، فهو بهذا يعلن عن هدفه بغاية الصراحة والوضوح: "أن يفهم سر المصيبة الإسلامية" أي سر الإسلام، ومصدر قوته، ويكتب المستشرق الألماني "باول شمتز" كتاباً يتناول فيه عناصر القوة الكامنة في العالم الإسلامي والإسلام، فيسمي هذا الكتاب "الإسلام قوة الغد العالمية" فلماذا كتب هذا الكتاب، وقام بهذه الدراسة ؟، إنه لا يتورع أن يعلن صراحة وبدون مواربة عن هدفه، الذي هو تبصير أوروبا الغافلة عن هذه القوة التي هي: "صوت نذير لأوروبا، وهتاف يجوب آفاقها، يدعو إلى التجمع والتساند

(1) أنظر: د.نادية العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، ط6، 1415، ص186، د.مانع الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 2/692-694، د.محمد اليحياوي، نحو ثقافة وسطية راشدة، ص 227 /254، عبدالرحمن الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، ص99 . د. اسماعيل علي محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، الكلمة للنشر والتوزيع، ط3، 1423، ص 80 /120.

(2) محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ط، 1 1999م، 1420ه، ص 567.

(3) محمود محمد شاكر، مصدر سابق، ص68.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الأوروبي لمواجهة هذا العملاق، الذي بدأ يصحو، وينفض النوم عن عينيه"[1]. لم يظهر مفهوم الاستشراق في أوروبا إلا مع نهاية القرن الثامن عشر فقد ظهر أولاً في إنجلترا عام 1779م، وفي فرنسا عام 1799م كما أدرج في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام 1838م. وهكذا أخذت مسيرة الاستشراق تتواصل عبر القرون والأجيال، تهيمن عليه تلك الروح العدائية البغيضة للإسلام وأهله، غير أنها كانت تخف حدتها عند بعض المستشرقين ويخفت صوتها بعض الأحيان، وأخذ اهتمام الغربيين بالدراسات القرآنية الاستشراقية يتزايد فينشؤون الكراسي الخاصة بها والمعاهد في جامعات أوربا، ويشجعون الأفراد لولوج ميادينها، حتى جاء القرن الثامن عشر وهو العصر الذي بدأ فيه الاستعمار فوجد المستشرقون بغيتهم وأصدروا عدداً من المجلات في الممالك الغربية، وأغاروا على كثير من المخطوطات العربية من المكتبات العربية والإسلامية فنقلوها إلى بلدانهم، وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام 1873، وتتالى عقد المؤتمرات عن الشرق وأديانه وحضاراته وما تزال تعقد حتى هذه الأيام[2]. وفي نهاية القرن التاسع عشر أصبحت الدراسات القرآنية والإسلامية تخصصاً قائماً بذاته داخل الدراسات الاستشراقية العامة، وكان الكثير من علماء الإسلاميات واللغة العربية كونلدكه وجولد تسهير يعدون علماء في الساميات على وجه العموم أو في دراسة الكتاب المقدس على وجه الخصوص[3]. ولكني أرى أن الاستشراق برز كظاهرة رسمية مع صدور قرار مجمع (فيينا) سنة (1312م)، الذي تم على أساسه إنشاء أقسام للغة (العربية، والعبرية، والسريانية)، في عدد من الجامعات الأوربية كـ(باريس) و(أكسفورد) و(بولونيا) وغيرها تحت رعاية الكنيسة الكاثوليكية[4]. ولا بد لنا هنا أن نشير إلى أن هناك مجموعة من المستشرقين تبين لهم عقم هذا المنهج

(1) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط2، الرياض، ص42.
(2) أنظر: د. أكرم ضياء العمري، مرجع سابق، ص164.
(3) أنظر: المرجع السابق، نحو ثقافة وسطية راشدة، صـ 229، عبدالعظيم الديب، المنهج عند المستشرقين، صـ339.
(4) الدكتور زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، كتاب الأمة، قطر، ط3، 1983م، ومؤسسة الرسالة بيروت، ص20.
- انظر إدوارد سعيد: الاستشراق، ت: كمال أبو ديب، ص80. والاستشراق والخلفية الفكرية، ص25، وعلي بن إبراهيم النملة: المستشرقون والتنصير ص22

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

التأريخي البالي وانسداد طرقه وعدم جدواه، فسلكوا مناهج عديدة في دراساتهم القرآنية مستخدمين طرائق العلوم الإنسانية المعاصرة التحليلية في نقد النصوص، وذلك يعود لعدة أسباب يمكننا أن نلخصها في الآتي[1]:

1/ إن الباحث الغربي تؤثر فيه قناعاته الدينية وخلفياته الفكرية، عليه لا يمكن أن يؤمن بقضية الوحي والنبوة والرسالة، ولا يمكن أن يتعاطف معها.

2/الدراسات القرآنية غالباً ما ترتبط بعالم الغيب الذي لم يكن بمقدور منهج مادي يقوم على الحس والعقل أن يدلي فيها بكلمة إلا بمقدار.

3/إن المنهج الغربي في البحث العلمي بطبيعته المادية لا بد أن يمارس نوعاً من التجريح والتكسير في حق القرآن الكريم وعلومه، فيصطدم بالبدهيات والمسلمات.

(1) Abraham Geiger: Was hat Muhammad aus dem Judentum aufgenommen Bonn 1833 وانظر: جولدزيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة ممد يوسف موسى وزميليه، طبعة مصر 1353م ص 1.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الثالث

منهج إسقاط نقد الكتاب المقدس على الدراسات القرآنية "مدرسة يوليوس فلهاوزن نموذجاً"

اهتم المستشرقون كثيراً بدراسة القرآن الكريم؛ باعتباره مصدراً للعلوم والمعارف والشريعة، ولدوره الهام والكبير في حياة المسلمين، و لتأثيره البالغ في بناء الحضارة والتربية والسلوك الإسلامي، ولهذا نالت ترجمات معاني القرآن الكريم الجانب الأكبر من اهتماماتهم، مهما يكن من أمر لكننا نجد أن هذه الدراسات الأخيرة في الحقيقة تهدف إلى استرجاع التهم والافتراءات الجاهلية القديمة للاستكبار القرشي، بل هي تعيد صياغتها وتضخّمها من جديد، وفي كل مناسبة يغيب عنها البرهان العقلي نجدها تتهم المصادر الإسلامية بالتعتيم والتستر على الوقائع[1].

يرجع البعض عناية أهل الكتاب بالإسلام وبالقرآن الكريم إلى منتصف القرن الأول للهجرة السابع للميلاد[2]. مع تأكيدنا على وجود بعض الأعمال الموضوعية التي اقتصرت على الإنجازات العلمية والمادية للحضارة الإسلامية، إلاّ أنهم تتواطأ قلوبهم، وتتفق مناهجهم وافتراءاتهم على القرآن الكريم، ولم يدّخروا أيّ وسيلة للنيل من قداسة كتاب الله الكريم، خاصة أنّ هذه الدراسات ارتبطت بالحركة التبشيرية والاستعمارية والصهيونية العالمية[3]، وتعددت إفرازاتها وافتراءاتها على مر التأريخ، وليست آيات سلمان رشدي الشيطانية، والفرقان الأمريكي، وصولاً إلى الرسوم الاستهزائية الدانمركية، والفلم المسيء إلى شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، إلا صدى وترديد لهذه الهجمات، مما سبق يمكننا القول بأنهم يحاولون بذلك دراسة القرآن الكريم باعتبار أنه نتاج تأريخي وليس وحياً وعقيدة دينية مصدرها الإسلام، منطلقين في مناهجهم تلك من منظور مادي للظواهر الفكرية التي يدرسونها، مع عدم تقيدهم بالمقومات الدينية أو العقدية أو الروحية، نتيجة

(1) A. BADAWI، Defence du Coran contre ses critiques، Cull ISLAMICA، end l.Unicite، Paris. 1989.p910-..

(2) انظر: الدكتور الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، كلية الدعوة الإسلامية، بيروت. 2002. ص 80-85. د م.ج.ع. الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية، ص4 - 75.

(3) نجيب العقيقي، المستشرقون، مرجع سابق، ص367.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

تأثرهم ببيئتهم الأوروبية التي تربوا فيها وأخذوا منها مناهجها وطرق معالجتها للحضارات، والأفكار الإنسانية وبكونها ترفض كل مصدر سابق للمعرفة باسم الوحي أو الدين أو الحدس، والاعتماد على الفلسفة الوضعية وإخضاع الدراسات الإنسانية إلى مناهج العلوم التجريبية، و لا ريب أن هذه المناهج لا تؤدي إلى نتائج علمية مستساغة عند تطبيقها على القضايا الإيمانية مثل الوحي والرسالة والنبوة، و دورهما في حياة البشرية[1].

بناءً على ما سبق فقد تبين للباحث بروز عدة اتجاهات استشراقية لدراسة القرآن الكريم وفق مداخل متعددة مثل: دراسته في ضوء علم نقد الكتاب المقدس، ودراسته في ضوء المنهج التنصيري، وفي ضوء المنهج المقارن، ونسبة لصعوبة البحث وتعقيده في تداخل هذه المناهج الاستشراقية وكثرتها، وأن مساحة الورقة العلمية لا تسمح بالبحث والدراسة في كل تلك الاتجاهات سالفة الذكر، فقد جاء هذا البحث مركزاً على دراسة القرآن الكريم في ضوء منهجٍ نقد الكتاب المقدس، متخذاً من مدرسة المستشرق الألماني يوليوس فلهاوزن نموذجاً، وذلك لعدة أسباب هي: أن هذا المنهج الأصل الذي يعتمده جميع المستشرقين في دراساتهم القرآنية، وباعتبار أن المستشرق فلهاوزن من أوائل من تخصص في هذا العلم الجديد الذي سمي بعلم "نقد القرآن الكريم"، كما يعتبر هو المؤسس الأول له، وهو نفسه الذي أسس نظرية "تعدد مصادر التوراة"، وأن فلهاوزن من اعتقد بفكرة النشوء والتطور التي بدأها دارون على المستوى البيولوجي للإنسان، فاعتنقها فكرة أساسة في الفكر الديني والتأريخي، فأخضع الدين والتأريخ لعوامل النشوء والتطور نتيجة تغير الحياة وتطورها، فعمل فلهاوزن جاهداً على تطور النظرية إلى أن فصل بين المؤسس وبين ما قام بتأسيسه، ففصل بين النبي والديانة التي جاء بها، ونتج عن هذا التأثر ظهور ما سمي ب" الظاهرة الدينية"، واستعار المنهج الذي طبق في دراسته للنصوص الدينية المقدسة لدى اليهود والنصارى؛ الذي سمي منذ القرن الثامن عشر الميلادي

(1) أنظر: د. ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي في الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، جزء1، دار المدار الإسلامي، 2002، ص165.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

بعلم "نقد الكتاب المقدس" وطبقه على القرآن الكريم رغم صعوبته الشديدة[1]. بعد أن أخذ حظاً وافراً من دراسة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، وفق منهجية البحث العلمي الغربية، ونسبة لأن المستشرقين الذين قاموا باستخدام منهج نقد الكتاب المقدس في نقد الدراسات القرآنية؛ إنما جعلوا دراساته وكتاباته مصادر يرجعون إليها في كل دراساتهم وأبحاثهم العلمية، ويمكن للباحث أن يتناول منهجية المستشرق فلهاوزن بشيء من التفصيل مبتدئاً بترجمة عنه، ثم مناقشة المدرسة التي أسسها مع بيان انعكاساتها على الدراسات القرآنية.

1/ ترجمة عن يوليوس فلهاوزن:

كان مولد فلهاوزن في عام 1844م في وستفاليا بألمانيا، وابتدأ حياته العلمية بدراسة اللاهوت المسيحي ثم توجه بعد ذلك لدراسة التوراة، ودرس اللغات الشرقية في جوتنجين[2]. وبرع فلهاوزن بشكل كبير في علم نقد النصوص الكتابية وخصوصاً نقد العهد القديم، حتى أعتبره الكثير من الباحثين بمثابة الأب الروحي أو المؤسس الحقيقي لذلك العلم[3]. وبعد أن قطع فلهاوزن شوطاً كبيراً في دراسة التوراة، وجه جهوده لدراسة عصر صدر التأريخ الإسلامي ومصادره المبكرة، فكان من أهم المستشرقين الذين تعرضوا بالبحث والدراسة لتلك الفترة المهمة، حيث قام بتأليف عدد كبير من الأبحاث والدراسات التي تناولت تلك الحقبة، ومنها[4]: محمد صلى الله عليه وسلم في مكة، و أديان عرب الجاهلية، ودستور المدينة أيام النبي صلى الله عليه وسلم، وفتوح إيران، و الدولة العربية وسقوطها؛ من ظهور الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية، ويمكننا أن نذكر أهم مؤلفاته: فقد ألف كتابه الشهير: "المملكة العربية وسقوطها (1902)؛ الذي أثّر على الكتابة التأريخية العربية تأثيراً كبيراً في مسائل عدة:

(1) انظر مثلاً مقالات ر.فايرستون من معهد الاتحاد العبري في شيكاغو (يعقوب، يوسف، زبور) (2002). 354، 254 P-6، 372.. In EI` vXI.
(2) نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، 1964م، ص724.
(3) ريتشارد إليوت فريدمان، من كتب التوراة، ترجمة: -عمرو زكريا، مراجعة وتقديم: -أيمن حامد، دار البيان للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003م، ص24.
(4) نجيب العقيقي، المصدر السابق، ص725.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المسألة الأولى: اعتبار الصراع الأبرز في الدولة العربية الأولى صراعاً قومياً بين العرب والعجم، وتحديده للحقبة المبكرة أو العصر العربي للدولة الإسلامية ما بين 632 و750م، وهو تأريخ سقوط الدولة الأموية، والمسألة الثانية منهجية: تتمثل في استناده إلى تأريخ الطبري ونصوصه المنقولة عن مصادر أقدم، ويركز الكاتب على أهمية المسألة المنهجية، فتأريخ الطبري نشره دي كَويه وزملاؤه وتلامذته في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، ومن أهم أعماله: تأريخ اليهود، ومحمد بالمدينة، وبقايا الوثنية العربية (1887م)، والتمهيد للتأريخ الإسلامي ستة أجزاء برلين (1887)، والتمهيد لأقدم تأريخ في الإسلام مع نقد المصادر برلين (1994 – 1998)، واشتغل بتحقيق الطبري؛ وعرف بشخصيات الرواة في الطبري فحللها وعدلها وجرحها، وله الأحزاب المعارضة في الإسلام قديماً (1901)، والعرب والروم جونتجن (1901)، والسيادة العربية، وتأريخ الدولة الأموية وحروبها مع الروم برلين (1901)، والشيعة والخوارج، والدولة العربية وسقوطها برلين (1902)، وله دراسة عن القرآن الكريم في المجلة الشرقية الألمانية (1913)[1]، ومن أهم دراساته في الديانة اليهودية وتأريخ بني إسرائيل وأسفار العهد القديم: نص سفري صموئيل (1871)، وكتاب الفريسي الصدوقي (1874)، وكتاب تأليف الأسفار الستة (1889)، ومدخل إلى العهد القديم (1887 – 1893)، وتأريخ الإسرائيليين (1878)، أو مقدمة إلى تأريخ إسرائيل القديمة (1885)، والتأريخ الإسرائيلي واليهودي (1894)[2]. وقد اطلع المستشرق فلهاوزن على بعض أجزاء النص المخطوط، لأنه استخدمه في دراسات سابقة، وكان المؤرخون من بين المستشرقين اعتادوا الرجوع إلى مصادر متأخرة مثل ابن الأثير، وابن كثير لأنها عُرفت أولاً، لذلك كان مهماً من جانب ڤلهاوزن الاهتمام بقِدم المصدر ثم بتحليل تركيبه الكتابي، لكتاب الخوارج والشيعة[3]. د أن بعض الباحثين النقاد يتهمون أساليب المستشرق ڤلهاوزن بالعنصرية المعادية

(1) العقيقي، المستشرقون، الجزء الثاني، ص 386–3.

(2) (2) Encyclopaedia Judaica، Vol. 16 art. J.Wellhausen Keter Publising House - Jerusalem، 1972، P. 443

(3) أنظر: http://www.jewishencyclopedia.com/view.jsp?artid=119&letter=W، خصوصاً آخر سطر، يقول معلقاً على الماضي من خلال تجربة الاشتراكية الوطنية التي سيطرت على ألمانيا في خلال عامين من وفاة ڤلهاوزن.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

للسامية وللكاثوليكية، ويعرب المستشرق ڤلهاوزن بصراحة عن عدائه للأجزاء الكهنوتية (للحاخامات اليهود والرهبان الكاثوليكيين على حد السواء) في التوراة، وحين علم بفرضية كارل هاينريش كَراف بوجود قانون موسوي كإضافة متأخرة إلى دين الأنبياء الروحاني الأصلي، فقد قبل فرضية كَراف "تقريباً قبل أن يستمع لأسبابه"[1]. وتوفى يوليوس فلهاوزن في عام (1918م) عن عمر يناهز الأربعة وسبعون عاماً[2].

2/ رؤية يوليوس فلهاوزن في منهج إسقاط نقد الكتاب المقدس :

لقد حاول المستشرق يوليوس فلهاوزن تطبيق منهج نقد العهد القديم في البحث فيما يسمى بتأريخ النص والنقد النصي، والنقد المصدري المعتمد على نظرية فلهاوزن، والمسائل المرتبطة بالبنية الأدبية للنص من حيث وحدة البنية وتعددها، للانطلاق منها إلى وحدة التأليف أو تعدد المؤلفين[3]. والنظر في البنية اللغوية والأسلوبية للقرآن الكريم، والبحث عن المواقف الحياتية في النص، هذا بالإضافة إلى طرح التساؤلات المرتبطة بالنقد التأريخي والجغرافي، والطرح الاجتماعي والإنثروبولوجي، والإشكاليات الفلسفية والأخلاقية، ويرجع تأريخ تأسيس هذه المنهجية إلى المستشرق الألماني هـ. إيفالد 1803 1-Ewald.H ، الذي تتلمذ على يديه يوليوس فلهاوزن، وأصبح خليفته الوحيد الذي تبنى أفكاره وطور نظرية هذا المنهج ونهض بها، وقام بنشر أعماله من بعده، وقد اشتمل النقد التأريخي للعهدين القديم والجديد على نقدين: نقد النص من حيث النسخ المتعددة، وتحقيقها وتصحيحها فيما عُرف بالنقد النصي Criticism Textual، ونقد مادة هذه النصوص والذي عُرف بالنقد العالي Higher Criticism، نتيجة لذلك برز عدد من المستشرقين بتكوين رؤية علمية متخصصة في نقد القرآن الكريم من خلال استخدام منهج نقد الكتاب المقدس، وكان مؤسسها المستشرق يوليوس فلهاوزن(1844 – 1918م)،

(1) Encyclopaedia Judaica (2007) The Pentateuch - 1980م، خير الدين الزركلي، .الأعلام

(2) المصدر نفسه.

(3) انظر: هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام. ترجمة إحسان عباس وآخرين. دار العلم للملايين. بيروت 1964، وانظر: محمد خليفة حسن، أحمد هويدي: اتجاهات نقد العهد القديم. دار الثقافة العربية، القاهرة 2001، ص 254– 255.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الذي يعتبر مؤسس منهج نقد القرآن الكريم بلا منازع، وقد جمع بين التخصص في منهج نقد العهد القديم، والتخصص في الإسلام والقرآن الكريم، وهو في الوقت نفسه مؤسس نظرية تعدد مصادر التوراة كما بينا ذلك آنفاً، والتي طبقها على كل أسفار العهد الجديد والقديم، ولقد التقط المستشرق فلهاوزن نظرية تعدد المصادر من النقد القرآني للتوراة، ومن التراث النقدي الإسلامي المستند إلى النظريات القرآنية في نقد التوراة، وأهمها نظريات التحريف والتبديل وتعدد المصادر[1]. ا جعل بحق المستشرق فلهاوزن المؤسس والمطور الحقيقي لعلم نقد العهد القديم، بالرغم من الجهود التي بذلها النقاد المستشرقين السابقين له؛ إلا أنه استفاد من الجهود النقدية التي سبقته فطورها ووضعها في علم مستقل من العلوم الدينية النقدية الغربية، مستفيداً بشكل كبير من جهود المسلمين في نقد التوراة، بدرجة لم تتحقق لأحد من المستشرقين الذين سبقوه، إذ تميز فلهاوزن بالجمع بين التخصص في العهد القديم والتخصص في القرآن الكريم والدراسات الإسلامية[2]. لقد أكمل المستشرق يوليوس فلهاوزن أسلوب البحث في أسفار العهد القديم، ووضع قانون التطور التدريجي الثابت في كل المناهج التأريخية، ويرى أن الحياة الاجتماعية من المستحيل أن تكون متجمدة وثابتة بدون تغيير[3]. وقد طبق هذا المنهج التأريخي على حياة جماعة بني إسرائيل، وعلى أسفار التوراة، وانتهى إلى أن التوراة نتاج عصر متأخر، وعد المصدر الكهنوتي آخر مصادر التوراة وليس المصدر التثنوي، وأن التوراة مشروع كهنوتي خالص[4]. ولقد دخل المستشرق فلهاوزن إلى حقل الدراسات القرآنية والإسلامية بعد أن تمكن من المنهج في نقد العهد القديم، وفقاً لنظريته تعدد المصادر، والتزاماً بفكرة النشوء والارتقاء في الفكر الديني والتأريخي، الناتجة عن الاعتقاد في خضوع الدين والتأريخ لعوامل النشوء والتطور نتيجة

(1) Hava Lazarus-Yafeh، Interwined Worlds، Medieval Islam and Bible Criticism Princeton Univ. Press، Princeton، New Jersey، 1991، p. 63 – 64، 130، 136 – 137، 139 – 141 ، p. 19 – 20.

(2) محمد خليفة حسن، علاقة الإسلام بالأديان الأخرى، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، 2003م.

(3) زالمان شاراز، مصدر سابق، ص141.

(4) المرجع السابق، ص 146.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

لتغير الحياة وتطورها[1]. فلما ذاع صيته وانتشر أمره في مجال دراسات العهد القديم والديانة اليهودية، انتقل بعدها المستشرق فلهاوزن لدراسة الإسلام والقرآن الكريم والتأريخ الإسلامي؛ منشغلاً بقضية المصادر لإثبات الأفكار السابقة نفسها التي طبقت على النصرانية واليهودية، وهي أفكار النشأة والتطور، فتوسع في تطبيق منهج النقد المصدري على القرآن الكريم والتأريخ الإسلامي، كما اهتم بالبحث فيما يسميه بمصادر الدين الإسلامي، ونمو العقيدة وتدرجها، ودراسة المذاهب والفرق باعتبارها معبرة في منهجيته عن التطور المرتبط بتغير الظروف والبيئات العرقية، والاجتماعية والسياسية التي انتشر فيها الإسلام، وأصبح هدف الدراسات القرآنية في منهجية المستشرق فلهاوزن البحث في نشأة العقيدة الإسلامية وتطورها، والعوامل الفاعلة في كل ذلك[2]. وكان من بين أهم المستشرقين الذين شكلوا عقلية يوليوس فلهاوزن؛ وتأثر بمنهجهم المستشرق أستاذه الألماني هـ. إيفالد، و المستشرق الفرنسي أنطوان سلفستر دي ساسي الذي أرسى مبدأ الانفصال عن اللاهوت؛ أي انفصال المنهج العلمي عن اللاهوت[3].

3/ انعكاسات رؤية فلهاوزن في إسقاط منهج نقد الكتاب المقدس على الدراسات القرآنية:

إن الباحث المتتبع لرؤية المستشرق فلهاوزن في انعكاسات هذا المنهج على الدراسات القرآنية، يجد تداخلاً واضحاً بين دراسات العهد القديم واليهودية؛ مع دراسات القرآن الكريم عنده، مطبقاً نفس المنهج المرتبط بالبحث عن المصادر وعوامل النشأة والتطور، وإعادة تركيب الفكر الديني ومقارنتها بالدراسات القرآنية، ويظهر هذا التداخل جلياً في الاستفادة المتبادلة التي تمت على يده في محاولة فهم تأريخ اليهودية، وتأريخ بني إسرائيل في ضوء التأريخ العربي القديم، والديانة العربية القديمة، وإسقاط هذا المنهج في فهم القرآن الكريم والتأريخ الإسلامي المبكر؛ في

(1) محمد توفيق حسين، المرجع السابق، ص38.
(2) المرجع السابق، ص40.
(3) نجيب العقيقي، المستشرقون، الجزء الثاني، دار المعارف، القاهرة، 1980، ص 364-365، وانظر أيضاً: تأريخ نقد العهد القديم. المرجع السابق، ص 121-122.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ضوء النقد المصدري والتأريخي الذي طبقه على العهد القديم، ومما يؤكد ما ذهب إليه الباحث أن المستشرق ألبرت حوراني ذهب لشرح هذا التداخل المنهجي عند فلهاوزن بقوله: "كان نقد الكتاب المقدس يمثل خطاً لمحاولة علمية مرتبطة بفقه اللغة ارتباطاً قوياً، وهو يعني دراسة نصوص العهد القديم والعهد الجديد من خلال التحليل اللغوي الدقيق من أجل معرفة متى كتبت هذه النصوص وبواسطة من؟ وما علاقة هذه النصوص بعضها ببعض؟ وما هي الحقيقة التأريخية التي تعكسها بشكل مباشر وغير مباشر؟ وسيؤدي هذا الخط إلى نتائج مهمة لدراسة الإسلام"[1]. ا سبق يتبين للباحث أن هذه المدرسة تسعى لإثبات أنّ هذه التطورات إنّما انطلقت مع انتحال محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم للقرآن المستوحى بزعمهم من التراث اليهودي والمسيحي، وليس وحياً من عند الله، وهذه الفكرة هيمنت على هذه الدراسات الاستشراقية طيلة تأريخها، حتى أصبحت مسلّمة لا تقبل النقاش، مع إيجاد وإثبات رابطة وهمية أو موضوعية بين القرآن الكريم وبين الكتاب المقدس، وتعود هذه الأفكار إلى أرنست رينان، ويوليوس فلهاوزن، اللذين دافعا عن المجتمع والثقافة العربية قبل الإسلام، مع رفض مفهوم الجاهلية حضاريًّا وتأريخياً، لأنّ هذا المجتمع كان يعيش تطورات متعددة الأبعاد، ومخاضاً دينيًّا أفرز الإسلام وحركته العظيمة، ويمكننا أن نلخص أهم النقاط الأساسة التي بنى عليها فلهاوزن رؤيته المنهجية في نقد الكتاب المقدس وحاول أن يسقطها على نقد القرآن الكريم والإسلام، وهي تتمثل في: التركيز على أن مصدر الوحي والعقيدة ومكارم الأخلاق واحد، والفصل بين النبي المؤسس والديانة التي تم تأسيسها، ونشأة وتطور الأديان، والتطور العقدي، والفصل التأريخي بين الأديان والأنبياء، ونظرية تعدد المصادر والنصوص، وضياع النص الأصل، وقضية تأريخ النص؛ وهي: "الفترة الزمنية لنزول الوحي على الأنبياء وإخضاع هذا الوحي للكتابة والتدوين"، وما حدث من تحريف وتبديل لهذه النصوص ما بين الفترتين، وقضية البنية الأدبية

(1) Albert Hourani, Islam in European Thought, Cambridge University Press 1991p. 31.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

للنص؛ من حيث وحدة البنية أو تعددها حسب نظرية تعدد المصادر[1]. ومن خلال تلك القضايا حاول المستشرق فلهاوزن أن يسقط رؤيته هذه التي تنطبق على الكتاب المقدس، على نقد القرآن الكريم ليؤكد بها قضية تعتبر ثابتة ومن المسلمات البدهية عند المستشرقين؛ وهي أن القرآن الكريم من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه ملفق من الديانتين اليهودية والنصرانية وليس وحياً إلهياً كما بينا، وأن مصادره متعددة، للتشكيك في المنهج العلمي الذي جمع به القرآن الكريم؛ وبعده عن الدقة والتوثيق والتثبت، ووجدوا بغيتهم في الاختلافات الموجودة في المصاحف المنسوبة لبعض الصحابة، واصفين مصحف عثمان بأنه الأقرب إلى الصواب[2]. بهدف نسف ربانية القرآن الكريم وقديسته، وإرجاعه إلى الطبيعة البشرية.

4/مناقشة ونقد رؤية مدرسة فلهاوزن في منهج إسقاط الكتاب المقدس على القرآن الكريم:

من خلال دراسة ومناقشة منهجيته وما سجله من نتائج في النقد العالي للعهد القديم، ودراسته للعهد الجديد، نجد أن المستشرق يوليوس فلهاوزن يعبر عن نتائج النقد العالي للعهد القديم في كتابه تأريخ إسرائيل المنشور عام 1878، حيث ناقش فكرة ظهور اليهودية كديانة توحيد تركز على الأخلاقيات التي نادى بها الأنبياء من خلال دين موسى عليه السلام السابق، وأن الشريعة والشعائر ظهرت بعد ذلك، كما أن دراسة العهد الجديد أدت إلى أن الاعتقاد في أن "عيسى التأريخ" جاء أولاً ثم تطورت بعد ذلك المعتقدات والمؤسسات الدينية التي سميت بالنصرانية[3]. وفي هذه القضية يرى الباحث أن المستشرق فلهاوزن يتفق إلى حد ما مع الرأي الإسلامي: إذ أن القرآن الكريم ركز على التوحيد والأخلاقيات

(1) Hava Lazarus-Yafeh, Interwined Worlds, Medieval Islam and Bible Criticism Princeton Univ. Press, Princeton, New Jersey, 1991, p. 63 – 64, 130, 136 –137, 139 – 141 , p. 19 – 20. ومحمد توفيق حسين، المرجع السابق، ص38.

(2) قام الرجل بنشر كتاب))المصاحف((لابن أبي داود)ت 911(وألحق جفري بكتاب المصاحف مقدمة مطولة باللغة الإنجليزية ضمنها ما زعم أنها مصاحف الصحابة الخاصة. Arthur Jeffery, Materials for the History of the Text of the Quran,Istanbul 1937.

(3) أنظر: الدكتور الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، كلية الدعوة الإسلامية، بيروت، 2002، ص 80-85. د م.ج.ع. الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية، ص4 - 75.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المستمدة منه معتبراً ذلك اعتقاد بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا من قَبْلك إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِى إِلَيْهِمْ﴾ [يوسف:109]، وهذا يدل على أن مصدر الوحي والعقيدة ومكارم الأخلاق التي دعا إليها جميع الأنبياء واحد في جميع الرسالات، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى به نُوحاً وَالَّذي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا به إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فيه﴾ [الشورى:13]، غير أن الفارق هنا بين رأي فلهاوزن والرأي الإسلامي يكمن في عدم عزل موسى عليه السلام عن بقية أنبياء بني إسرائيل، فهو مجرد حلقة في سلسلة أنبياء التوحيد، كما يرفض الإسلام الحديث عن دين موسوي، وديانة يهودية وكأنهما كيانان دينيان مستقلان، وكذلك بالنسبة للنصرانية نجد أيضاً اتفاقاً في النتيجة التي توصل إليها المستشرق فلهاوزن مع الموقف الإسلامي، فدعوة عيسى عليه السلام في التأريخ انفصلت عن التطور الديني اللاحق الذي أنتج ما أصبح يسمى بالنصرانية. إن هذه المقارنات التي أجراها في نقد الكتاب المقدس وأسقطها على نقد القرآن الكريم، تتضمن كلاماً عاماً وغير محدد، وأحكاماً مطلقة وغير مقيدة، واستنتاجات بعيدة عن العلم والمعرفة، وأقوال غير صحيحة ولا تتطابق مع حقائق التأريخ والواقع، ولا تنطبق على الإسلام وطبيعة القرآن الكريم، فالفصل بين ما يسميه بالمؤسس، أو البطل الديني، أو النبي، وبين الدين الذي أسسه النبي، هكذا حسب نظرية فلهاوزن تم الفصل بين موسى عليه السلام والديانة اليهودية، كما تم الفصل بين عيسى عليه السلام والديانة النصرانية، فلا ينطبق هذا الفصل على حالة الإسلام، فصفات: "المؤسس"، أو "البطل الديني"، أو "الرجل المقدس"، لا تنطبق على الرسول، وإنما تنطبق عليه صفة واحدة هي النبي، الأمر الثاني: أنه لا يوجد فصل بين محمد صلى الله عليه وسلم النبي والإسلام، كما حدث في شأن موسى وعيسى عليهما السلام واليهودية والنصرانية، فالإسلام هو النتيجة المباشرة للوحي القرآني، ولم يتطور الإسلام بعد الرسول، إنما بدأ الإسلام وكمل مع تمام الوحي الذي نزل على الرسول، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

﴿لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً﴾ [المائدة:3]. وعليه لم يكن الإسلام في حاجة إلى تركيب حسب رؤية فلهاوزن لليهودية والنصرانية، كما أن الشريعة والشعائر لم يتأخر ظهورهما عن عصر الرسول فالقرآن الكريم والسنة النبوية احتويا على الشريعة والعبادات والأخلاق، كما احتويا على العقيدة، ولا توجد مراحل فاصلة بين النبي والوحي من ناحية، وتطور الشريعة والعبادات من ناحية أخرى، كما أنه لم ينشأ في الإسلام ما يمكن تسميته دين محمد صلى الله عليه وسلم، على نمط دين موسى ودين عيسى عليهما السلام من ناحية، و لم يكن الإسلام منفصلاً عن دين محمد صلى الله عليه وسلم من ناحية أخرى، كما انفصلت اليهودية عن دين موسى عليه السلام، والنصرانية عن دين عيسى عليه السلام، و لا يوجد ما يمكن تسميته بتأريخ النص القرآني، كما ينطبق على تأريخ نص العهد القديم، وعلى تأريخ نص العهد الجديد، حسب رؤية المستشرق فلهاوزن[1]. وقد تأثر بعض المسلمين بهذا المنهج، فظهر في واقعنا المعاصر من يزعم أنه لابد من تطبيق نقد النص على القرآن الكريم؛ ومن هؤلاء محمد أركون في الجامعات الفرنسية، وفضل الرحمن الذي كان يرأس قسم الدراسات الإسلامية في جامعة أمريكية، ونصر حامد أبو زيد في مصر الذي يعمل حالياً أستاذاً زائراً في جامعة ليدن بهولندا.

عليه يرى الباحث أن تعميم منهجية المستشرق يوليوس فلهاوزن ونظريته على الإسلام؛ خطأ منهجي بني على فهم تأريخي لليهودية والنصرانية لم يحدث مع الإسلام، فانفصال موسى عليه السلام عن اليهودية في التأريخ، وانفصال عيسى عليه السلام عن النصرانية في التأريخ؛ لم يحدث في حالة الإسلام، كما لا توجد ازدواجية في الإسلام بين دين النبي، ودين تطور بعد عصره، كما أنه لا توجد نشأة وتطور في شأن الإسلام كدين، ذلك لأن الإسلام لم يمر بنفس الظروف التأريخية والدينية التي مرت بها اليهودية والنصرانية، والتي ترتب عليها هذا الفصل بين عصر النبي وديانته، واعتبار ديانته تطوراً حدث بعد عصره، وكانت

(1) محمد توفيق حسين، مصدر سابق، ص 40.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

نتيجة هذا الفصل النهائية؛ أنها لم تعد فقط فصلاً بين نبي ودينه، بل فصلاً بين النص الديني الذي تلقاه النبي؛ وبين الدين الذي تأسس بعد ذلك، فاليهودية لم تتأسس في التأريخ على توراة موسى عليه السلام، كما أن النصرانية لم تتأسس على إنجيل عيسى عليه السلام، وذلك يعود لأسباب هي: أن التوراة والإنجيل ضاعت نصوصهما الأصلية، والدين الناشئ بعد ذلك اعتمد على نصوص أخرى متأخرة عن النص الأصلي الضائع، فاليهودية بنيت على نصوص التوراة الكهنوتية الحالية، وعلى نصوص أسفار العهد القديم الأخرى، وعلى التلمود وغيره من الكتابات الدينية اليهودية، وبنيت النصرانية على نصوص أخرى تتمثل في مجموعة الأناجيل الأربعة، وأعمال الرسل، وقرارات المجامع الكنسية، وقرارات المذاهب النصرانية المختلفة والمتأخرة في التأريخ عن عصر عيسى عليه السلام، مثل: الأرثوذكسية، والآريوسية، والكاثوليكية، والبروتستانتية[1]، ليس من بينها إنجيل عيسى عليه السلام. أما بالنسبة للإسلام فنجد أن الصلة بين الإسلام والقرآن الكريم صلة عضوية لم تنقطع، حيث تأسس الإسلام أصلاً على أساس من النص القرآني الذي لم يتعرض للضياع من ناحية، ولم ينافسه نص آخر؛ أو نصوص أخرى في تأسيس الإسلام من ناحية أخرى، فوحدة الإسلام مستمدة من وحدة مصدره وهو القرآن الكريم[2]. وأما فيما يتعلق بقضية تأريخ النص، نجد أن هناك بوناً شاسعاً واختلافاً جوهرياً بين الكتاب المقدس وبين تأريخ القرآن الكريم، فليس للقرآن الكريم تأريخ أصلاً، ذلك لأن فترة نزول الوحي القرآني كانت محصورةً بين بداية الوحي ونهايته، وهي فترة لا تسمح بتكوين تأريخ للقرآن الكريم، مقارنة بتأريخ التوراة، أو تأريخ العهد القديم، أو تأريخ العهد الجديد، وقد استغرق نزول القرآن الكريم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وعشرين سنة، وقد جنح إلى هذا الرأي كثير من العلماء كما ذكر الزركشي ذلك في البرهان؛

(1) وانظر: تحرير زالمان شازار، ترجمة أحمد هويدي، مقدمة تأريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، تقديم ومراجعة محمد خليفة حسن، المجلس الأعلى للثقافة، العدد204، القاهرة، 2002م، ص65.

(2) نجيب العقيقي، المستشرقون، مرجع سابق، 2/ 400، وأنظر: سالم يفوت، ندوة الحضارة الإسلامية حضارة النص القرآني، المعهد العالي للحضارة الإسلامية ووحدة بحث مقارنة الأديان، تونس، المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر؛، ص (11).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

من أنه الأشهر والأصح وإليه ذهب آخرون[1]، مقارنة بتأريخ النص التوراتي الذي امتد إلى ثمانمائة عام محصورة بين نزول الوحي على موسى عليه السلام، في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وزمن إخضاع هذا الوحي للكتابة والتدوين على يد عزرا الكاتب؛ في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، فهي فترة طويلة جداً تعرض فيها النص التوراتي للتحويل والتبديل من نص مكتوب إلى روايات شفوية، على مدى ثمانية قرون قبل أن تخضع هذه الروايات الشفوية للتحرير والتدوين على يد عزرا الكاتب[2]، وما يؤكد ذلك أن هناك نص يهودي توراتي مأثور يقول: "إذا كان موسى هو الذي تلقى الوحي التوراتي، فإن عزرا هو الذي كتبه وثبته"[3]، وما ينطبق على التوراة ينطبق على بقية الأسفار الأخرى، فلكل سفر تأريخ، أما بالنسبة للعهد الجديد فلكل إنجيل من الأناجيل الأربعة تأريخه كنص وعلاقته بنصوص الأناجيل الأخرى[4]، مما يؤكد أن العهد الجديد لم يدون منه شيءٍ على الإطلاق في حياة عيسى عليه السلام، وقد بلغ عدد المؤلفين له أربعين كاتباً من جميع طبقات البشر، واستغرقت مدة كتابتهم ألف وستمائة سنة[5]، أما بالنسبة للأسفار الخمسة فلا أحد يدري كيف كتبت؟ ولا متى؟ ولا أين؟[6]، أما كتب النصارى فإنهم يسلمون بالجهالة بمن نسبت إليهم الأناجيل[7]، مما سبق يمكن القول بأنه لا توجد فترة زمنية بين نزول الوحي وحفظه وتدوينه؛ لأنها هي فترة نزول الوحي حيث لا تمثل تأريخاً إطلاقاً، لأن عملية تنزله وتدوينه وحفظه تمت في ضوء وعي وإدراك إسلامي قوي، وتحذير قرآني مستمر بوضع التوراة والإنجيل؛ حتى لا يقع

(1) أنظر: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1376 هـ - 1957 م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، دار المعرفة، لبنان، بيروت، 47/2.

(2) أنظر: زالمان شازار: تأريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، ترجمه من العبرية: أحمد محمود هويدي وراجعه محمد خليفة حسن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2000م، ص34؛ وانظر أيضاً: حافا لازاروس، المرجع السابق، ص50، 95؛ محمد خليفة حسن، علاقة الإسلام باليهودية، رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1985.

(3) هناك إشارات في التلمود الأورشليمي إلى مكانة عزرا في تدوين التوراة. ففي مجيلا 81، الفصل 5 الفقرة 9 نقرأ: ((من الجدير أن التوراة كانت ستعطي لعزرا لولا أن سبقه جيل موسى)) انظر: تأريخ نقد العهد القديم. المرجع السابق، ص 34.

(4) Abraham I. Katsh, Judaism in Islam, Bibical and Talmudic Backgrounds of the Koran and its Commentaries, Sepher-Hermon Press, New York, 1954, p. XI.

(5) أنظر: إظهار الحق، ط دار التراث، ص86.

(6) قاموس الكتاب المقدس، 7640.

(7) أعمال الرسل، 12/12، قاموس الكتاب المقدس، مادة مرقس، والكنزالجليل مقدمة إنجيل مرقس، نقلاً عن كتاب بكري زكي إبراهيم عوض، أثر القرآن في الدراسات النقدية للكتاب المقدس، ص 655، www.al--maktabeh.com .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المسلمون في عمليات التبديل والتغيير والتحريف التي وقعت فيها الكتب السابقة، وهناك العديد من الآيات القرآنية التي كونت نظرية قرآنية في نقد التوراة والإنجيل، أسست نظرية المصادر عليها؛ يقول تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ [النساء:82]، ويتبين للباحث أن أسس الجهاز النقدي الذي بنى عليها فلهاوزن منهجه في النقد الديني، ومن ثم أقام عليها نظرية تعدد المصادر في نقده للكتاب المقدس، إنما استعارها من القرآن الكريم، في نقده لنص التوراة والإنجيل، ونقده المصدري والعالي[1]. ومن هنا نقول بأن نظرية تأريخ النص ونظرية تعدد المصادر؛ لا تنطبق على القرآن الكريم، وقد أدى هذا النقد إلى التشكيك في طريقة نقل هذه الكتب وروايتها، وكذلك في الحقائق التي وردت فيها، وإن كانت كتب النصارى واليهود قد تعرضت للتبديل والتحريف وأثبت نقد النص ذلك فهذا الأمر لا يمكن تطبيقه على القرآن الكريم لأنه في المقام الأول قد نقل إلينا بالتواتر القطعي الذي لم يتيسر لكتاب في العالم اهتمام ورعاية كما ناله القرآن الكريم[2]. ومن ثم فإن النتيجة الدينية الحادثة عن النقدين النصي والمصدري لم تحدث مع الإسلام، وإنما حدث ذلك مع الديانتين اليهودية والنصرانية، فهما ديانتان تأريخيتان لكل منهما تأريخ ينقسم إلى عصور، وكنتيجة لذلك انقسمت اليهودية لعدة يهوديات، وانقسمت النصرانية لعدة نصرانيات، وأدى هذا بدوره لاختلاف هذه الفرق اليهودية والنصرانية في حجم النص المقدس[3]، وفي مقابل هذا التطور العقدي الناتج عن تأريخ النص، والذي تطور لتأريخ لليهودية وتأريخ للنصرانية، لا يوجد تأريخ للإسلام، فهناك توافق تام بين القرآن كنص والإسلام كدين، ولا يوجد إسلام خارج حدود النص القرآني، وبالتالي لا يوجد تطور عقدي أو عصور للإسلام، فالتأريخ الموجود هو تأريخ للمسلمين وليس تأريخ للإسلام[4]. كما يجب أن نؤكد على أن القرآن الكريم

(1) Hava Lazarus-Tafeh, Interwined World, p. 137, 139, 14.

(2) الظاهرة الاستشراقية 2/1 ص 360 عن محمد حسين هيكل، حياة محمد ط5 ص41.

(3) انظر أيضاً Albert Hourani, Islam in European Thought, Cambridge Univ. Press 1991, p.31.

(4) أنظر: تأصيل النص، لوسيان غولدمان، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط (1)، 1997م، ص (43).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

هو الكتاب الوحيد بين الكتب السماوية الذي يوجد بلغته الأصلية أي لغة البيئة التي نزل فيها القرآن الكريم، في الوقت ذاته نجد أن التوراة (العهد القديم) مكتوبة باللغة الآرامية التي هي العبرانية الحديثة، وهي لغة نشأت في القرن الخامس قبل المسيح باختلاط اللغتين الساميتين السريانية والعبرانية القديمة التي تعتبر لغة منقرضة، وبالتالي فنص العهد القديم الآن لا يوجد بلغة العصر أو البيئة (وهي اللغة المصرية القديمة كما ذكر ذلك الشراح) التي ترجع إليها أخبار الوحي و اشتملت عليها كتب العهد القديم في ذلك العصر، خاصة أسفار موسى عليه السلام[1]، وتلك البيئة العبرانية القديمة، والتوراة الموجودة الآن ليست بالعبرانية القديمة، وهي بلغة منقولة إليها، تترجم عن النص الأصلي، وليست اللغة التي تكلم بها موسى عليه السلام، إنها لغة لم تكن موجودة بحكم تأريخ اللغات في العصر الذي نزل فيه الوحي على موسى عليه السلام، أما بالنسبة لكتب العهد الجديد، نجدها بإحدى لغتين: إما باللغة السريانية؛ و إما باللغة اليونانية وذلك باختلاف الأناجيل، وكل من هاتين اللغتين، ليست لغة المسيح عليه السلام، وليست لغة البيئة التي ظهرت رسالة المسيح فيها، ولا العصر الذي جاء فيه المسيح بآياته، وبذلك تكون أيضاً منقولة إلى لغات أجنبية عن بيئة الوحي؛ و أجنبية عن بيئة التنزيل، فالمسيح كان يتكلم الآرامية و هي العبرانية المحدثة، في حين أن نصوص الإنجيل لا توجد بالآرامية، و إنما بلغتين منقول إليهما مترجمتين عن اللغة الأصلية[2]. من هنا يتضح لنا مدى الخلط والخطأ المنهجي الذي وقعت فيه مدرسة فلهاوزن الاستشراقية حين أقامت مقارنات ومقابلات بين القرآن الكريم؛ و هو نص أصيل في لغته و لفظه و معناه، وبين الكتاب المقدس، وهو نصوص مترجمة أو منقولة أو كتبت بغير لغة صاحب الرسالة، وتبعه عدد من المستشرقين أخذوا منهجيته بالبحث فيما سُمى بتأريخ النص والنقد النصي، والنقد المصدري المعتمد على نظرية فلهاوزن في تعدد المصادر، وكذلك عدد المسائل المرتبطة بالبنية الأدبية للنص من

(1) والكنز الجليل مقدمة إنجيل مرقس، نقلاً عن كتاب بكري زكي إبراهيم عوض، مرجع سابق، ص2، 3.
(2) الشيخ محمد فاضل بن عاشور، ومضات الفكر، الدار العربية للكتاب، ط: 1، 1982، ص: 23.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

حيث وحدة البنية أو تعددها؛ للانطلاق منها إلى إثبات ما سكن واستقر في أعماقهم من فكرة تعدد المؤلفين للقرآن الكريم، وذلك كله ليصلوا إلى مسلمة عند المستشرقين في نقد القرآن الكريم؛ تقول أن القرآن الكريم من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه اقتبس الأفكار والقصص من اليهودية والنصرانية، ليؤكدوا مزاعمهم تلك بوجود أخطاء علمية معاصرة تتصل بالعالم والكون معكوسة في القرآن الكريم، كما يزعمون وجود العديد من العبارات والمصطلحات الأجنبية التي تؤكد حسب زعمهم أنه من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم، وأن تطوراً قد حدث له بعد ذلك عبر القرنين الأول والثاني، من أصل روايات شفوية عن طريق تعديلات جرت عبر قرنين لتأخذ شكلاً رسمياً، وكان ذلك مماثلاً لما حدث في تقديم الكتاب المقدس لليهود[1]، لأن مصادره ليست معاصرة ولا يمكن تصديقها، ويؤكدون ذلك بالحفريات الأثرية، والمخطوطات القرآنية التي عثر عليها في صنعاء مؤخراً، حيث إن نقد النص القرآني يشير إلى وجود أخطاء في نسخ القرآن، وأن القرآن الذي وجد بهما مختلف عن القرآن المتداول بين المسلمين[2]. ليؤكدوا بذلك أن القرآن الكريم ليس مصدراً للشريعة الإسلامية قبل القرن التاسع عشر الميلادي[3] . من هنا يمكن القول بأن المستشرق فلهاوزن في دراسته للقرآن الكريم عالج الظواهر والوقائع وفق منظور عقلي مادي بحت، لا يتناسب مع دراسة القرآن الكريم، لأنه لا يخضع لمنهج التجربة كما لا يمكن تطويعه لأحكام العقل، وإن كان قد درس التوراة والإنجيل وفق المناهج المادية في إطار الدراسات الدينية المقارنة، فإن القرآن الكريم وحي إلهي لم تمسه تحريفات الإنسان أو تغييرات الزمان، وعليه وجب على من يدرسه ويحلل قضاياه أن يدرسه بعقلية تؤمن بالغيب وما يترتب عليه، ذلك لأن المستشرقين لا يستطيعون التخلص من خلفياتهم الفكرية، وتحيزاتهم المعرفية التي أملتها عليهم ضرورة البحث العلمي المادي الذي يلغي عالم الغيب.

(1) أنظر: apos;anicstudies, etc. OXFORD, 1977Qur; wansborough. J .44-pp.42.

(2) أنظر: محمد حميد الله، خطابات بهاو لبور باللغة الأردية، تحقيقات إسلامي، إسلام أباد، 1985م، ص20.

(3) مقال منقول عن توبي ليستر، " Tobyster " في مقالته: (what is the koran) p.55.82/, 1999, the Atlantic monthly junuary.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الخاتمة

النتائج والتوصيات

1/ إن دراسة المستشرق يوليوس فلهاوزن للقرآن الكريم المهتمة بتأريخ النص تعد من أخطر الدراسات القرآنية عند المستشرقين، التي طبق فيها منهج نقد العهد القديم على القرآن الكريم، وهو يمثل المدرسة النقدية الأساسة التي سيطرت على الدراسات القرآنية عند المستشرقين الاتجاه النقدي المتأثر بدراسات نقد العهد القديم والعهد الجديد، والحقيقة أن تأثيره على الدراسات القرآنية كبير وخطير، فكل الدارسين للقرآن الكريم من المستشرقين وتلامذتهم أصبحوا عالة على نظرية المستشرق فلهاوزن المنقولة من نقد العهد القديم؛ والمركزة على قضية تعدد المصادر، وتأريخ النص.

2/ من الأخطاء المنهجية التي وقعت فيها نظرية المستشرق فلهاوزن في دراسة القرآن الكريم وعلومه، عدم استقلال دراسة القرآن الكريم عن منهجية نقد الكتاب المقدس متمثلاً في عهديه القديم والجديد، وتوظيف القرآن الكريم لأهداف التنصير وإسقاط النظريات التأريخية و الأدبية والأحداث السياسية الجارية على فهم القرآن الكريم.

3/ وقعت مدرسة المستشرق يوليوس لفلهاوزن في خطأ منهجي فادح بعيد عن الموضوعية العلمية والحياد حين عمم منهجيته ونظريته على الإسلام، لكونه بناهما على فهم تأريخي لتشابه خاطئ لليهودية والنصرانية مع الإسلام، فتأريخ موسى منفصل عن اليهودية الحالية، وتأريخ عيسى منفصل عن النصرانية الحالية، لكن تأريخ محمد صلى الله عليه وسلم متصل بالإسلام غير مفصول.

4/ يلاحظ أن مدرسة المستشرق فلهاوزن تأثرت بالمذهب النصراني السائد في المجتمعات الأوربية، لأنها قد تأثرت بالمذهب البروتستانتي الذي يعتبر مسؤلا عن تطور نقد الكتاب المقدس، ونقلت نقد العهد القديم والعهد الجديد إلى الدراسات القرآنية، كما أدخلت مصطلحات تأريخ النص، وتعدد المصادر، والنقد المصدري والنصي إلى الدراسات القرآنية.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

أهم المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

1/ خليفة حسن، مدرسة الاستشراق اليهودي، مجلة رسالة المشرق، جامعة القاهرة، القاهرة، 2003م.

2/ الشيخ محمد فاضل بن عاشور، ومضات الفكر، الدار العربية للكتاب، ط:1، 1982.

3/ الدكتور الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، كلية الدعوة الإسلامية، بيروت. 2002.

4/ محمد خليفة حسن، علاقة الإسلام بالأديان الأخرى، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، 2003م.

5/ هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام. ترجمة إحسان عباس وآخرين. دار العلم للملايين. بيروت 1964م.

6/ محمد خليفة حسن، أحمد هويدي: اتجاهات نقد العهد القديم. دار الثقافة العربية، القاهرة 2001م.

7/ الدكتور زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، كتاب الأمة، قطر، ط3، 1983م، ومؤسسة الرسالة بيروت.

8/ نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، 1964م.

9/ ريتشارد إليوت فريدمان، من كتب التوراة، ترجمة: –عمرو زكريا، مراجعة وتقديم: –أيمن حامد، دار البيان للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003م.

10/ محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ط، 1 1999م، 1420هـ.

11/ الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط2، الرياض.

12/ د.نادية العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، ط6، 1415هـ.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

13/ د. اسماعيل علي محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، الكلمة للنشر والتوزيع، ط3، 1423هـ.

14/ ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

15/ مجموعة من العلماء، المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار السلام، ط1، 1431هـ، 2010م.

16/ محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، جدة، دار المدني، 1407هـ، 1987م.

17/ عبد الله النعيم: الاستشراق في السيرة النبوية، نشرة المعهد العالي للفكر الإسلامي 1997م.

18/ الألوسي، محمود أبو الفضل: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي.

19/ محمد خليفة حسن، مدرسة الاستشراق اليهودي، مجلة رسالة المشرق، جامعة القاهرة، القاهرة، 2003م.

20/ منتغمري وات، محمد في مكة، تعريب سفيان بركات، المكتبة العصرية، بيروت.

21/ زالمان شازار، تررجمة أحمد هويدي، مقدمة تأريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، تقديم ومراجعة محمد خليفة حسن، المجلس الأعلى للثقافة، العدد204، القاهرة، 2002م.

22/ محمد خليفة حسن، تأريخ الأديان، دراسة وصفية مقارنة، دار الثقافة، القاهرة، 2002م.

23/ آصف حسين." المسار الفكري للاستشراق " ترجمة مازن مطبقاني، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . العدد السابع ربيع الثاني 1413هـ.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية:

24- G.W. Anderson, A Critical Introduction to the Old Testament, Prentice-Hall Inc., N.Y., 1959.

25- W.F. Albright, From the Stone Age to Christianty, Monotheism and the Historical Process, Doubleday and Co., N.Y., 1957.

26- O. Eissfeldt, The Old Testament, an Introduction, trans. By Ackroyd, Harper and Row, N.Y., 1972.

27- H.H. Rowley, The Growth of the Old Testament, Harper and Row, N.Y., 1963. :A. BADAWI, Defence du Coran contre ses critiques, Op. Cit :w fe ofMohametMuir.، pp.251923 26-rd edition-reprinted 31, Inc., N.Y., 1959.

28- W.F. Albright, From the Stone Age to Christianty, Monotheism and the Historical Process, Doubleday and Co., N.Y., 1957.

29- O. Eissfeldt, The Old Testament, an Introduction, trans. By Ackroyd, Harper and Row, N.Y., 1972.

30- H.H. Rowley, The Growth of the Old Testament, Harper and Row, N.Y., 1963. :A. BADAWI, Defence du Coran contre ses critiques, Op. Cit Patricia CRONE, Meccan trade and of the Islam, Princeton. 1987. p 957-

31- The Encyclopedia of the Islam مقالات لهم عن : الأمويين، معاوية بن أبي سفيان، زياد ابن أبيه، يزيد، الوليد..

32- Albert Hourani, Islam in European Thought, Cambridge University Press 1991p. 31.

33- A. BADAWI, Defence du Coran contre ses critiques, Cull ISLAMICA, end l.Unicite, Paris. 1989.p910-.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com